الزيارة الأربعينيَّة في وجدان شعراء الحلّة _مقاربة تحليليّة في الشعر البطائقي للدكتور قيس الخفاجي

م.م. زهراء سالم جبار
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف
qwsalsema6@gmail.com

ملخص البحث

تعدُّ الزّيارة الأربعينية من أهم الزيارات وأكثرها حضورًا، وقد حظيت بأهمية بالغة لدى العديد من الشعراء قديمًا وحديثًا؛ إذ انبروا يتمجدون بهذه المناسبة العظيمة شعرًا ونثرًا، وكان للشاعر الخفاجي – رحمه الله– نصيبٌ منها إذ دوَّن ما جالت به قريحته وروحه الحسينية للتعبير عن أهمية وقيمة هذه الزيارة وأثرها الكبير في نفسه حتى صوّرَها بكلِّ اتقان مما ينم عن حسينيٍّ واعٍ وشاعرٍ بارعٍ إذ نقل مشاعره المرهفة ليحققّ عن طريقها الاتصال الوجداني بينه و متلقيه بأشكاله المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الزّيارة الأربعينية،الشعر البطائقي، قيس الخفاجي رحمه الله

The Fortieth Visit in the Conscience of Hilla Poets - An Analytical Approach to the Batataqi Poetry by Dr. Qais Al-Khafaji - May God Almighty have mercy on him -

millimeter. Zahraa Salem Jabbar
General Directorate of Education in Najaf Governorate

Abscrat

The fortieth visit is one of the most important and most attended visits, and it was of great importance to many poets, ancient and modern. As they went out, they glorified this great occasion in poetry and prose, and the poet Al-Khafaji - may God have mercy on him - had a share of it, as he recorded what his Hussein heart and soul went through to express the importance and value of this visit and its great impact on himself, until he depicted it with all

perfection, which shows a conscious Husseini and a brilliant poet as he conveyed his feelings. Delicate, through which he achieves emotional connection between himself and his recipient in its various forms.

Keywords: The Fortieth Visit, Al-Batatiqi Poetry, Qais Al-Khafaji (may God have mercy on him)

المقدّمة

الحمد لله المنزه عما يخطر ببال أو يتوهم في الفكر و الخيال المحتجب برداء العز و الجلال لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير تحيرت العقول في حقيقة ذاته و تخبطت الأفهام في أسمائه وصفاتِه و اندهشت الأبصارُ في جلال حضراته ليس كمثله شيء و هو السميع البصير و الصلاة و السلام على أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد :

تعدُّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين من أهم الزيارات وأكثرها حضورًا للزائرين من كل أنحاء العالم ؛ذلك بأنها من أبرز المناسبات الدينية، وقد حظيت ودلالاتها الرمزية بأهمية بالغة لدى الكثير من الشعراء المعاصرين وقد تواصل الشعراء بأشكال مختلفة مع هذه الزيارة بوصفها رافداً ثراً ومصدراً فنياً تساهم بشكل كبير في إغناء القصيدة الشعرية وتخصيبها وتعميق دلالاتها، ومن هنا انبرى الشعراء يتمجّدون بالحسين عليه السلام وزيارته المباركة شعرًا ونثرًا، وكان لقلم الشاعر الدكتور قيس الخفاجي» رحمه الله» منها نصيبٌ، وأنموذج لتجربته الشعريّة الناضجة، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ((الزيارة الأربعينية في وجدان شعراء الحلّة_مقاربة تحليليّة في الشعر البطائقي–للدكتور قيس الخفاجي))؛ لبيان ما جالت

به روحه الحسينيّة، للتعبير عن قيمة هذه الزيارة العظيمة، وأثرها في نفسه بصورٍ حيّة بكلّ دقّة واتقان؛ فهو بذلك يلج إلى ذوات الآخرين وينقل وعيه ومشاعره المرهفة إليهم ويتحقق الاتصال الوجداني والذهني والحسي بينهما، واقتضت طبيعة البحث أن يقوم على مقدّمة وتمهيد ومبحثين، جاء التمهيد بعنوان(الزيارة الأربعينية وأثرها في الشعراء)، وتناولتُ في المبحث الأوّل(في المؤلِّف والمؤلَّف)، ودرستُ في المبحث الثاني(قراءة تحليلية في شعر الزيارة الأربعينية البطائقي)، وشفعتُ هذا كلّه بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها ، وثم تليها قائمة بثبت المظان.

الزيارة الأربعينية وأثرها في الشعراء

لم تكن الزيارة الأربعينية ومناسبتها العظيمة بمنأى عن أقلام الشعراء الذين انبروا بكل ما جادت به قرائحهم الشعرية التي يعبّرون بها عن انتمائهم وحبّهم وولائهم للإمام الحسين عليه السلام وتعلّقهم به وانجذابهم العجيب إلى قبره الشريف وقد تواصلوا بأشكال مختلفة مع هذه الزيارة بوصفها رافداً ثراً ومصدراً فنياً تساهم بشكل كبير في إغناء القصيدة الشعرية وتخصيبها وتعميق دلالاتها، وقد لا نعدو الحق إذا قلنا إنّه لم تنل زيارة في التاريخ الإنساني بأسره من العطاء الأدبي ما نالته زيارته المباركة ولا غرو؛ لأنَّ صاحب الزيارة الإمام الحسين عليه السلام شخصيّة عالمية فضلاً عن كونها دينية ، ولهذا كانت محط وقفات الأدباء من مختلف الأمكنة والأزمنة، ومن أولئك الأستاذ الدكتور قيس الخفاجي رحمه الله إذ عبّر عن قيمة هذه الزيارة العظيمة، وأثرها في نفسه بصورٍ حيّة بكلّ دقّة واتقان؛ فهو بذلك يلجُ إلى ذوات الآخرين وينقل وعيه ومشاعره المرهفة إليهم ويتحقق بذلك الاتصال الوجداني والذهني والحسي بينهما. (السعد٢٠١٧م)

المحور الأوّل
سيرة الشاعر الدكتور (قيس الخفاجي)

اسمه ونسبه

قيس حمزة فالح سركال الخفاجي، ولد في قرية الجازرية التابعة لناحية الكفل، وتُوفي في محافظة بابل (الخفاجي١٩٦٧م-٢٠٢٠م) .

مولده ونشأته

ولد الشاعر رحمه الله في مدينة الحلة الفيحاء يوم الأربعاء في العشرين من شهر ذي العقدة سنة١٣٨٦هجرية، الموافق الأوّل من مارس سنة ١٩٦٧ميلادية، في أسرة متديّنة، متواضعة ملتزمة محبة للعلم وأهله فانعكس ذلك على نفسيته فأحبَّ طلب العلم وسعى إلى نيله، فدرس الابتدائيّة في مدرسة (المفاخر) حتّى تخرّج منها، لينتقلَ بعد ذلك إلى دراسة المتوسّطة في مدرسة (الجماهير) فتخرّج فيها بتوفق فكانَ الأوّل على زملائه، ثمَّ أكمل دراسته الإعدادية في مدرسة (١٧تموز سابقًا) إعدادية (الإمام علي عليه السلام) حاليًا، فكانت رحلته في هذه المراحل الثلاث رحلة كفاح، وإصرار، وعزيمة، بسبب الظروف السائدة آنذاك (الخفاجي٢٢٠٢٤م)، وبعد تخرّجه من هاتين المرحلتين بتفوّق وجِدٍ، انتقل إلى الدراسة الجامعية في جامعة الموصل- كليّة التربية- قسم اللّغة العربيّة وتخرّج منها عام ١٩٨٨م، وبعد أن تهيّأت له الظروف المناسبة سافر إلى بغداد الحبيبة آنذاك ليكملَ دراسته العليا (الماجستير) في جامعة المستنصرية- كليّة التربية – قسم اللُّغة العربيّة، وحصل على درجة الماجستير فيها عام ١٩٩٥م عن رسالته الموسومة بـ(المفارقة في شعر الرّواد) وقد طبعت فيما بعد كتابًا

عام ٢٠٠٧م، ولم يكتفِ بهذا القدر بل كان حبُّ العلمِ أوّلاً، واللّغةِ العربيّة ثانيًا في نفسهِ دافعًا كبيرًا ؛لأن يكملَ دراسة الدكتوراه في الجامعةِ والكليّة ذاتها بعد تخرّجه فيها مباشرةً، فمشقّةُ السفر، والابتعادُ عن الأهلِ، لم تمنعه من المكوث في طلب العلم، حتّى نال فيها درجة الدكتوراه عام ١٩٩٩م عن أطروحته الموسومة بـ(الفكر النقدي عند الدكتور علي جواد الطاهر) وقد طبعت فيما بعد كتابًا عام ٢٠١٢م. (٣)

دواوينه ومؤلّفاته

ألّف الشاعر ﵀ مؤلّفات قيّمة، تنم عن لغويّ حقيقيّ بهذه الصفة في أوسع دلالتها، وما يتهيَّأ لشاعرٍ يبني القصيد نظمًا فخمًا، ونسجًا محكمًا، إلا يكون قد ضرب في اللّغة بسهم، فمنظوميّه ومؤلّفاته يشهدان أنَّه قد وسّع اللّغة مبحثًا ولفظًا، وبعد شأوه فيها رواية وحفظًا، فمن آثاره المنظومة ديواني شعرٍ، الأوّل بعنوان «نثيث الانتظار» الّذي أبصر النور في عام ٢٠٠٧م، أمّا الآخر ولد عام ٢٠١٩م حاملاً عنوان «الشعر البطائقي- مقدمة وديوان»، والذي سيصدرُ منه الجزء الثاني قريبًا، وكذلك مؤلّف آخر في الأنساب والّذي صرّح عنه ابن المرحوم بقوله:(سيحدثُ نقلة نوعيّة في الأنساب) فقد عكف عليه قبيل وفاته سنة كاملة حتّى أكلمه (الخفاجي١٩٦٧م-٢٠٢٠م) ، ويزيد على ذلك أنَّه قد أودع ما انتهى إلينا من جمهرة آثاره، كتاب(المفارقة في شعر الرواد) طبع عام ٢٠٠٧م، وكتاب (الفكر النقدي عند الدكتور علي جواد الطاهر) طبع عام ٢٠١٢م، وعلى صعيد البحوث العلميّة له مؤلّفات بحثية عدّة (الخفاجي ٢٠٢٤م) :

- التواصلية- البديهة المنسية، ٢٠٠٣م.
- قراءة في يتيمة الدهر للثعالبي وفي ما يتعلق بها، ٢٠٠٣م.

- القصدية ومصادرات الوهم في النتاج الفكري لعالم سبيط النيلي، ٢٠٠٦م.
- تاريخ التلقي لحديث الرسول ﷺ(اهجهم وروح القدس معك)، ٢٠٠٦م.
- الاقتضاء السردي في(حبال الغسيل) لـ(طه حامد الشبيب)، ٢٠٠٨م.
- حديث امتلاء الجوف شعرا والمأزق التأولي، ٢٠٠٨م.
- متكأ امرأة العزيز- قراءة تأويلية في ضوء تاريخ التلقي، ٢٠٠٨م.
- سُلْطانيّةُ الإِشاعَةِ في الشعر العَرَبيّ حتّى نهايةِ العصرِ الأمويّ في ضوءِ الأَفعالِ الكَلامِيّةِ، ٢٠١٦م.
- الرسالة المصاحبة في المحاججة النقدية بين حسان والنابغة- في ضوء النظرية التداولية(بالاشتراك مع أ. م. د. كاظم جاسم العزاوي)، ٢٠١٧م، وله(أربعة عشر بحثًا) مشاركًا بها في مؤتمرات وملتقيات وندوات، منها: العروض- رؤية تعليمية وتصنيفية جديدة، ٢٠٠١م، والشعراء في شعر الجواهري، (بالاشتراك مع م. م. سامر فاضل عبد الكاظم)، ٢٠٠٧م، والكعبة في استعارات السيد رضا الهندي، ٢٠٠٧م، والراوية روائية- قراءة تفكيكية لـ(شرق المتوسط) في ضوء النقد النسوي، ٢٠٠٨م، والعراقية في وعي الطاهر، ٢٠٠٨م، وحركة النقد الجديد- هوية نقدية وأنا أمريكية، (بالاشتراك مع د. سامر فاضل الأسدي)، ٢٠١٢م، والرسالة المصاحبة في المحاججة النقدية بين حسان والنابغة- في ضوء النظرية التداولية(بالاشتراك مع أ. م. د. كاظم جاسم العزاوي)، ٢٠١٧م، والرسالة المصاحبة بُعدًا تداوليًا جديدًا، (بالاشتراك مع أ. م. د. كاظم جاسم العزاوي)، ٢٠١٨م، والمصطلح النبوي تأسيسًا لرسالة مصاحبة، (بالاشتراك مع أ. م. د. كاظم جاسم العزاوي)، ٢٠١٨م، وتداولية الرسالة المصاحبة في آية القلبين، (بالاشتراك مع أ. م. د. كاظم جاسم العزاوي)، ٢٠١٨م.

التدريس والمهمّات التعليميّة (الخفاجي ٢٠٢٤م)

تسنّم الشاعر ﵀ بعد تعينه عام ١٩٩٥م مهمّة في قسم اللّغة العربية- كليّة التربية - جامعة بابل عام ١٩٩٧م-١٩٩٩م بوصفه مقرر قسم، وبعدها عمل كمسؤول في وحدة التعليم المجاني في الكليّة ذاتها من عام ١٩٩٩م-٢٠٠٥م، وبعد ثلاث سنوات وما يزال في عمله، تسنّم منصب آخر كمعاون عميد للشؤون العلمية والثقافية والدراسات العليا من ٢٠٠٣م-٢٠٠٥م، بعد جهود كبيرة، وسيرة عمل لامعة في كليّة التربية انتقل إلى كليّة الآداب في الجامعة ذاتها لينبري كرئيسٍ قسمٍ فيها -قسم اللغة العربية- من عام ٢٠١١م-٢٠١٤م، وبعد ذلك تسنّم رئاسة اللّجنة الفرعية للترقيات العلميّة والتعضيد في كلية الآداب من عام ٢٠١٤م، وأخيرًا عمل كرئيس قسمٍ في قسم اللغة العربيّة حتّى رحيله ﵀، إلى جانب هذه المسيرة العمليّة الطويلة، والمناصب الإدارية الكثيرة الّتي تنم عن رجلٍ عملي ناجح، كذلك كانت المسيرة العلميّة لا يشقُّ لها غبار، فقد أشرف على عدد من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه قارب(٣٠ رسالة وأطروحة)، ودرّس في الدراسات العليا أكثر من(١٠ مواد) على مدى سنوات متتالية من ٢٠٠٢م، ودرّس في الدراسة الأولية أكثر من(١٣ مادة) على مدى سنوات متتالية من ١٩٩٥م، وقد اشترك في عدد من المناقشات الجامعية تجاوز(٥٠ مناقشة لرسالة وأطروحة)، وله(٢١ بحثًا) منجزًا مخطوطًا، وقوّم علميًا أكثر من(٣٥ رسالة وأطروحة) لغرض المناقشة، وأكثر من(١٣٠ بحثًا) لغرض النشر، وأكثر من(٤٥ بحثا) لغرض الترقية والتعضيد، وقوّم لغويًا أكثر من(٧٠ رسالة وأطروحة)، وقد اشترك في أكثر من(٤٠ ندوة ومؤتمرًا وحلقة نقاشية) في داخل العراق، و اشترك أيضًا في عدد من اللّجان، أهمها اللّجنة الامتحانية، واللّجنة العلمية، ولجنة الدراسات العليا، ولجنة الترقيات العلمية، ولجنة الحفاظ على سلامة اللّغة العربيّة.

وفاته

أصيب الشاعر بفايروس كورونا، الوباء الذي اجتاح العالم بأسره على حينِ غفلةٍ عام ٢٠٢٠م والذي أودى بحياة الكثيرين، وللأسف الشديد كان للشاعر نصيبٌ منه، فقد أصيب به بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٢٠م، بعدَ أن شعرَ بوعكةٍ صحيّة أثناء عمله في الجامعة (جامعة بابل) ليتبيّن فيما بعد إصابته بالفايروس اللَّعين (العزاوي ٢٠٢٤م)، فرقد في داره لتلقّي العلاج، وبعد أيّام قليلة من حربه مع الفايروس شاءت قدرة الله تعالى في صبيحة يوم الجمعة ٣١/ ٧/ ٢٠٢٠م- الموافق١٠ ذي الحجة ١٤٤٢ه أن يتوفّىرحمه الله، فكانَ لرحيله غصّة في قلبِ كلّ من عرفه، فانبرى بعضهم لرثائه بما جادت به قريحتهم، على رأسِهم تلميذِه الأستاذ الدكتور الشاعر حسن عبيد المعموري في «حسراتٌ مؤجَّلة» ضمن أبيات قصيدة ألقاها في حفلٍ تأبيني أقيمَ ألكترونيًّا بمناسبة أربعينية الأستاذ الدكتور رحيم جبر الحسناويرحمه الله، قوله:ص

مـلأ الـموتُ رُبـانا بالسـَّوادِ ... وكَـسَا أرواحَـنـا ثـوبَ الحدادِ
كلَّما قُلـنا لـه: رِفـقًا بـنا ... صارَ مِـن وَقعِ الرّزايـا بـازديـادِ
أيُّـها الـموتُ تمـهَّل إنَّـهـم ... أهلُنـا، مـا آذونـا بـابـتـعـادِ
قـد ألـفنـاهم ربـيـعًا بيننا ... لم يَحن في غرسهم وقتُ حصَادِ
هكـذا راحُـوا سِراعًا كلُّهم ... أيُّـها المـوت، فمـَا هـذا التَّمادي

***

إيـهٍ يـا قـلبُ تـنهـَّد حـسرةً ... فـلقد غـادرَنـا أهـلُ الـرشادِ
أوَّلُ الخطبِ، فقدنا (قيسنا) ... مُوقـدًا في الرُّوحِ نيرانَ البعـادِ

(المعموري ٢٠٢١م)

يعدُّ الشعر البطائقي تجربة شعرية انبثقت لدى الشاعر في (العالم التواجهي- الفيس بوك) إلى جانب تجربته النثرية في ضمن اتجاه نشري بطائقي صار بمرور الأيّام واضح المعالم، فإشعار (حدّث فلان حالته) في(العالم التواجهي) لا تستقطب انتباه الآخرين مثلما يستقطبهم إشعار (فلان أضاف صورة)، وقد نشر الشاعر في البداية في صفحته الشخصية(قيس حمزة الخفاجي) صورتين وكتب في أعلى كل واحدة منهما بيتًا شعريًا (الخفاجي ٢٠١٩م)، تحت عنوان «انتباه» مصاحبًا للصورة الآتية.

أبدرَ الدّهرِ حولي ألفَ بد ✿✿✿ فكيفَ لفتَّ دُونَهمُ انتباهي؟

(الخفاجي ٢٠٢٠م)

ونشر الأخرى تحت عنوان (تنقّل) مصاحبًا للصورة الآتية:

نقّل فؤادك مثلَ طيرِ الباشق ما أنتَ للمعشوقِ أوّلَ عاشق

(الخفاجي ٢٠٢٠م)

وصرّح الشاعر بقوله : ((تمنّيت أن تكون الكتابة في الصورة نفسها وليس بمعزل عنها، ومن هنا بدأت أبحث عن وسيلة لذلك حتى أوصلوني إليها)) (الخفاجي ٢٠٢٠م)، وفيما بعد ظهر البيتان بهذين الشكلين وهاتين الصورتين على شكل البطاقتين الآتيتين:

(قيس الخفاجي ١٣)

(قيس الخفاجي ١٤ ج)

ولقد سعى الشاعر إلى أن يعبّر – جهد الإمكان– عمّا يجول في خاطره من أفكار ومشاعر عن طريق الكتابة على الصور المتداخلة بأفكارها أو مشاعرها مع ما يريد التعبير عنه أو مع ما يصل إليه المتلقي عن طريق استشعاره وجود نافذة ما، تسمح له بذلك، فكان هذا السبب أحد العوامل الرئيسة في ظهور هذا النوع الشعري، الذي يكشف عن وضع الشعر في ظل وسائل الاتصال الحديثة، وعن مديات إفادته منها، ويظهر في الوقت نفسه، أهمية التقنية في تشكيل الشعر البطائقي ونشره (الخفاجي ٢٠٢٠م)؛ ولذلك جاءت هذه التجربة –الشعر البطائقي– مبنية على ((علاقة تداخل بين الحرف والصورة واللون، وبين الشعر بوصفه كلمات والمنظر بوصفه صورة (اللقطة أو الخلفية)، فما أن تبزغ الفكرة الشعرية في الذهن حتى يبدأ بالبحث عن منظر صوريّ يمكن أن يكون أحد مصاديق الفكرة الشعرية أو أحد مفاتيحها لو انطلقت من المنظر الصوريّ... أي أن يضع الفكرة في الذهن ثم يبحث لها عن

صورة تكمّل معنى الفكرة وتجسّدها، وحين يجدها يحوّل الفكرة إلى كلام شعريّ، عن طريق النظر في الصورة وتأمّلها وقراءتها، أي أنّ النّص اللُّغوي يستدعي صورته المناسبة، وأحيانًا تكون الصورة اللغوية للشعر كاملة لكنّها تحتاج إلى منظر يزيد من فاعليتها الإيحائيّة أو يوجهها وجهة معينة مرادة)) (الخفاجي ٢٠٢٠م)، أي أنَّ ((هناك تكاملاً بصريًّا ودلاليًّا بين الصورة والكلمات، عن طريق الامتزاج والتساند بينهما، لكن بالوقت ذاته وجود الصورة لذاته، لا يرتقي بمستوى الشعر إن كان هابطًا، فلا بدّ من أن يكون هناك تكامل شعري للكلمة، واللون، والصورة وشعرية كليّة لهذا المجموع)) (الخفاجي ٢٠٢٠م)، فنلحظ أنَّ البطاقة ((لم تعد وسيطًا فقط، وإنَّما صارت -كذلك- عنصرًا فاعلاً في الخطاب الشعري البطائقي، على عكس الوسائط الأخر السابقة التي كانت لا تمثّل إلا جزءًا يسيرًا هامشيًّا غير معتنى به من هذا الجانب بشكل مناسب مثل الحجر والورق وغير ذلك)) (الخفاجي ٢٠٢٠م) وعليه فيعدُّ المنظر في الشعر البطائقي جزءًا من الفكرة الشعرية، والشعر جزءًا من الفكرة المرسومة من قبل، فيظهر للمتلقي صورة ثالثة هي مزيج من الصورة اللُّغوية والصورة اللونية. (الخفاجي ٢٠٢٠م)

وممّا تقدّم يمكن أن نعرّف الشعر البطائقي بأنَّه: ((الشعر المؤلف من كلمات قليلة بقدر بيت (أو سطر) في أقل احتمال وثلاثة أبيات (أو أسطر) في أكثر احتمال، والمكتوب في فضاء صورة ما تمتزج دلالتها بدلالته بطرائق مختلفة، والمنشور في العالم التواجهي (الفيس بوك) بكيفية تسمح بتداوله ونسخه ونقله وحفظه، وبتحويله إلى شعر ورقي بصيغة بطاقة ملونة، تنشر مع غيرها في ديوان ما، أو نشر مفردة بطريقة إعلانية ما)). (الخفاجي ٢٠٢٠م)

المبحث الثاني
قراءة تحليلية في شعر الزيارة الأربعينية البطائقي

أولى الشعراء والكتّاب المناسبات الدينية عناية فائقة للغاية والحديث ومكانة عظيمة ومن بين هذه الزيارات الحافلة بالمعطيات والمرتكزات « زيارة الأربعين» إذ كان لها حضورٌ بارزٌ في أقلام الشعراء قديمًا وحديثًا عبروا عن طريقها عن حبّهم وولائهم وانتمائهم للإمام الحسين (عليه السلام) وانجذابهم العجيب له، فبدأوا يصوّرون مشاعرهم وأحاسيسهم شعرًا ونثرًا، ومن ذلك قول الشاعر في « هديّة» التي يصوّر فيها أنفاس سير الزائر بأنّه هدية رب العباد إليه:

(قيس الخفاجي ،١٢٢)

توضّح البطاقة الشعرية الدفقة الشعوريّة للشاعر وتتمحور دلالتها حول بؤرة البوح لما يختلج ذاته من التفاخر ليقص على المتلقي هذه الحقيقة الوحيدة التي تلازم الزائر أثناء سيره إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، وحجم الإحساس الداخلي إذ ينطلق ليصف أنفاسه في طريق زيارة سيّده بأنَّها هدية رب الوجود إليه.

ومن أمثلة ذلك ما قرأته في بطاقة «دفتر الزوّار» :

(قيس الخفاجي ١٢٤)

عند تأمل البطاقة الشعريّة نلحظ هناك رابطًا موضوعيًا بين العنوان» دفتر الزوّار» والدلالات المركزيّة التي تحيل عليها مفردات البيت الشعري، مثل: (زائر/ زوّار)، فهذه المفردات تفتح أفق القراءة دلاليًّا على الارتباط الموضوعي بين السير في زيارة الأربعين وتسجيل الزائر في سجل الإمام الحسين عليه السلام، إذ يبيّن الشاعر في بيته الشعري أنّ أغلى ثوبٍ يرتجيه الزائر ليس الثوب الظاهري الذي يرتديه؛ بل هو أغلى من ذلك هو أن يكون اسمه في دفتر الزوّار فهو أمر وارتباط يعرفه كلّ محب وزائر ويرتجيه كلّ من قصد الإمام الحسين عليه السلام، إذ جعل الشاعر من هذه المفردات لبنات أساسية في تكوين المعطى المركزي لدلالة البطاقة على موضوعها.

ومن مواطن قوله ﷺ في بطاقة « هنيئًا» التي يهنئ فيها من يسير في طريق الإمام الحسين ﷺ ولم يتأثر بمغريات الطريق:

(قيس الخفاجي ١٢٦)

في البيت الشعري المتقدّم تستند الذات الشاعرة في تشكيل صورتها الشعريّة الصغرى ذات الرموز الدلاليّة إلى فضاء شعري مبلَّد بالفخر والفرح ينسجم وطبيعة الموضوع (زيارة الأربعين) ضمن أفق رؤيوي تهمين عليه تقانة اللفظة (هنيئًا)، النابعة من فضاء يقدّم عن طريقه الشاعر تهنئته للزائر الذي عزم على المسير للإمام ولم تستوقفه الحياة ولا تغرّه معطياتها، فالشاعر في الوقت نفسه شارك المتلقي في التوثيق لهذه المناسبة العظيمة.

ويقترب من ذلك قوله في بطاقة « هدف» التي يوثّق فيها مجيء الزوّار من كلّ صوبٍ لزيارة الأربعين ولم تشغلهم الدنيا أو تلهيهم عن مقصدهم:

(قيس الخفاجي ١٢٩)

إذ يظهر التشكل الشعري في البيت الشعري عبر تلك الدّالة الأسلوبيّة التي وظّفها الشاعر ليوحي بيته الشعري بصورة فائقة المعنى متساوقة والموضوع الذي يصبو إليه ؛ لذا جاء بيته الشعري مكثّفًا بالمعنى العميق ذا بعد جمالي وتأثير واعٍ في المتلقي ، فضلاً عن التّعالق النّصي الذي شكّل استدعاءً واضحًا للنّص القرآني، قال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(الحج: ٢٧)، فالبنية التعالقيّة القرآنية :((بنية مقصودة لذاتها وليست وسيلة سطحية انتفاعية)) (بن جعفر١٩٨٥م)؛ بل زادت من المعنى وضوحًا في بيان عظمة وأهميّة هذه الزيارة والشخص المزار الذي يقصده الجميع من كلّ مكان ولم تلههم الحياة ومغرياتها؛ لكونهم يعلمون بهدفهم الذي هو أسمى وأرفع من جميع هذه الحياة ومغرياتها.

ويقول في بطاقة « سفر» الذي يصوّر فيها مسير الزائرين للحسين عليه السلام في كلّ عام :

(قيس الخفاجي ٢٥٥)

استحضر الشاعر في هذا البيت الشعري مشهدا مرئيا محسوسا ،يكشف فيه عن الحشد الصوري المكثّف ،وبؤرة تسربت فيها أفانين الصور تثير مشاعر المتلقي بما تهيئ له من صورة حسيّة، تمثّل فيها مسير (القلب/ والبصر) نحو الإمام الحسين عليه السلام، فاختار الشاعر هذين العضوين دون غيرهما ؛ لكونهما الأعلى مرتبة من غيرهما ،وفيهما يكمن حبّه ومشاعره وولاءه لمن يحب بدلالة « نحو الحسين إمام القلب والبصر» فبهذا يحيلنا الشاعر إلى حقيقة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد تملّك القلوب والأبصار؛ حتى انقادت إليه رغم طرق الحياة الأخرى وسفرها لكن المحب ما يزال في عشق أهل البيت (عليهم السلام) وعلى سفر دائم في طريقهم.

ومن قوله رحمه الله في بطاقة « سقي» ،التي يصوّر فيها مجيئ الزوّار، كمجيء السّحاب ليسقيهم الإمام الحسين عليه السلام ماءً:

(قيس الخفاجي ٢٥٢)

إذ جعل الشاعر من المشبه به عنصرًا أسلوبيًا فاعلاً في البيت الشعري ؛ليوحي بأهميّة ومنزلة الإمام الحسين عليه السلام ،وعظم المناسبة إذ شبّه حضور الزائرين ومجيئهم بالغمام وهو السحاب الأبيض الذي يغطي السماء؛ وذلك لكثرتهم وتراصفهم ،وقد كان الشاعر دقيقًا في اختيار مفردته الشعرّية؛ لتتساوق مع المعنى الدلالي الذي يقصده، فانتقاؤه للفظة (الغمام) دون غيرها ؛لكون الغمام لا يحمل الماء وجعل من الحسين عليه السلام هو المعين الذي يسقي هذا الغمام بالماء، ويمكن القول: إنَّ القيمة الإجرائية الأسلوبية التي عكست رؤية شعرية جديدة يستضيء بها المعنى ويلتقط بريقها، عبر تلك الدوال الأيقونية التي وظفها الشاعر ،ممّا أكد جمالية الخطاب التشبيهي للزائرين، ولذا قيل إنّ: ((التشبيه خطاب بلاغي يعتمد البساطة في التركيب ذاته وفي علاقاته مع المعنى)). (الحسيني ٢٠٠٤م)

ومن مواطن قوله في بطاقة» رُبَّان» ،التي يصوّر فيها الشاعر سر زيارة الإمام الحسين ﷺ وسر مقصد مواليه له:

(قيس الخفاجي ٢٥٧)

تتسع الصورة الشعريّة لتملأ فضاءً رحبًا من القداسة والولاء حين يجعل الشاعر زيارة الإمام الحسين ﷺ سراً من الله سبحانه وتعالى ،حتى أنَّ عباد الله تقصده في كلّ عام ،وصوت الحقّ هو الذي يجلبهم ويسيرهم إليه، وعند تتبع محطات البيت الشعري نلحظ شبكة العلاقات الدلالية لكل منها منسجمة مع العنوان، وهذا يدلُّ على مكنة الشاعر من أدواته الشعرية، وسيطرته على سياق المعاني سيطرة تامة، جعلت بيته الشعري متظافر برمته في إيصال الدلالة الشعرية المتوخاة.

ومن مواضع قوله في بطاقة « حيّ» التي يصوّر فيها وجود الإمام الحسين ﷺ بين زائريه ومحبيه في الحياة الدنيا وهناك في الآخرة أيضًا وبكائهم عليه:

(قيس الخفاجي ٢٥٧)

فالشاعر حقَّق حضورًا أسلوبيًا فاعلاً في البيت الشعري المتقدّم ويستدعي القارئ للتواصل فضلاً عن كونه يفتح الآفاق في التأمل في وصف الإمام الحسين عليه السلام بأنَّه حيّ بين زائريه ،ولا يعني الشاعر هنا الحياة الفعلية ،بل الحياة الحسيّة في قلوب محبيه وزائريه ،وكأنّه حيٌّ بينهم في الحياة الدنيا ،وحتى هناك في عالم الآخرة يحنو على أرواح زائريه ويعبّرون بذلك بالبكاء عليه وعلى مصابه، لتلك الصورة أثرها الفاعل في ((إعادة تشكيل جزئيات الواقع، حيث تذوب عناصرها لتتخلق في ميلاد جديد تتضح من خلالها الرؤية الفنية الخاصة للأشياء)). (عيد ١٩٧٩م) ومن قوله في بطاقة « رزق» التي يصوّر فيها الزائرين بأنّهم ضيوف الله (عزّ وجل) :

(قيس الخفاجي ٢٥٣)

تظهر جماليّة البيت الشعري بما يحمله من دلالات تكمل صورته الشعريّة ،التي يشير فيها الشاعر إلى زائري الإمام الحسين (عليه السلام) ،وقد كساهم بأجمل حلّة وأبهى وصفٍ إذ جعلهم ضيوف الله(عزّ وجل) التي تلقي رزقها على طيلة الطريق الممتد حيث كربلاء السناء جاهز، إذ خلق الشاعر في هذا البيت مناخًا شعريًّا عمل على إدامة الإحساس بالتواصل الشعوري بين النّص ومتلقيه .ومن قوله في بطاقة « موئل» التي يصف فيها الإمام الحسين (عليه السلام) بـأنَّه الملجأ والملاذ وليس حكاية يكررها الزّمان:

(قيس الخفاجي ٢٥٨)

يطالعُنا البيت الشعري بألفاظه العذبة المناسبة ،وما يحمله من معانٍ غنية الدلالة وقد سكبت ألفاظه سبكًا حسنًا، صوّر فيه الإمام الحسين عليه السلام بأنَّه الملجأ والملاذ الذي يلتجأ إليه أحبّته في كلّ آن وليس كل عام، فهو ليس حكاية تُكرر على مرّ الزمان، ذلك بأن الشاعر يعي مكانة سيّد الشهداء في نفسه ونفوس محبيه لكنّه أرادَ أن يشد المتلقي إلى المعنى المراد في البيت الشعري.

ومن قوله في بطاقة» استبشار» التي يمثّل فيها الحزن على الإمام الحسين عليه السلام عبادة :

(قيس الخفاجي ٢٥٩)

جعل الشاعر من الحزن على الإمام الحسين عليه السلام مركزًا لمجموعة من الصور تمثّلت في صورة حزن المحب على حبيبه وسيّده كالعبادة وأنَّ هذا الحزن مكتنزًا على استبشار وهذا الاستبشار يتمثّل بالخدمة والضيافة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام، على

الرّغم من بساطة الصورة إلا أنَّ الشاعر مكّن المتلقي من إدراك صورة الحزن وما يكتنزه فكان بارعًا في انتاج دلالة ذات أبعاد عميقة تتناسب مع المناسبة العظيمة.

ومن مواضع قوله في بطاقة» نشر» التي يبيّن فيها أنَّ التوثيق الإلكتروني في طريق الزيارة الأربعينية جهاد:

(قيس الخفاجي ٢٦٠)

يقدّم البيت الشّعري صورة فيّاضة بمعانٍ موحية، محمّلة بسمات عمق التّجربة الشّعوريّة لحبّ الشاعر للتوثيق لهذه المناسبة العظيمة ، فالشاعر يخاطب الجميع بدلالة فعل الأمر « اكتب» و» صوّر» فكلام الشاعر هنا يحث ويبيح للزائر بالتوثيق لكلّ أمرٍ طيّب له إذ جعل هذا التوثيق بمثابة الجهاد ما دامَ في طريق الإمام الحسين عليه السلام، بوصفه زائرًا ومشاركًا للمتلقي وعليه فنلحظ أنَّ الشاعر قد أجاد عن طريق أسلوب الأمر الوصول إلى الغرض الذي يصبو إليه وهو التوثيق كلّ شيء جميل في هذه المناسبة.وفي بطاقة « ولاء» التي يبين فيها أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليس تباهٍ أو رياء ؛ بل ولاء وشوق الموالي لمولاه:

(قيس الخفاجي ٣٣٤)

يسعى الشّاعر في هذا البيت إلى بيان مقصد الزائر لإمامه عليه السلام لم يكن ذلك بدافع التباهي أو الرّياء كما يظنّه الآخرين؛ بل الدافع أكبر من ذلك وهو عشق الإمام عليه السلام وولائه له، إذ رسمها في لوحة فنيّة تشّعُ منها أحاسيس مؤطّرة بوهج المحبّة والولاء حين حشد هذه المجموعة من الكلمات القليلة الجزلة والتّراكيب الواضحة المنسجمة مع غرض المناسبة فضلاً عن الصلة الرّوحية العميقة بين الزائر وسيّده.

الخاتمة

بعدَ أن أتممتُ كتابة هذا البحث ، وبعد التأمل الدقيق في بطائق الزيارة الأربعينية، كان لابدّ لي أن استخلص أهم النتائج التي توصلتُ إليها في هذا البحث:

١. شكّلَ القول الشّعري في حق الإمام الحسين عليه السلام وزيارته المباركة علامة شعريّة مائزة في مدونه الشعريّ.

٢. مثّل أسلوب الخفاجي في بطائقه انعكاس لما امتلأت به نفسه وضميره من حبٍّ وولاء وعقيدة امتزجت مع خياله للتعبير عن واقع الزيارة الأربعينية ويعبّر عن أحاسيسه المكتنز بالحزن والألم والفخر

٣. مثّلت بطائقه الشعريّة قيمة جماليّة وإبداعية حققت هويتها الولائية وحضورها الوجداني والفكري.

٤. رسم الخفاجي بأسلوبه المائز صورة الزيارة الأربعينية وأجوائها التي تحيي النفوس وتثير المشاعر فضلاً عن إظهار قدسيتها السامية ومنزلتها العالية.